ص١٥٨، وهو استنتاج تدعمه المتابعة المتأنية لتاريخ «الصحافة اليهودية في مصر» ومحتوياتها على النحو السابق ذكره.

جهل أم تواطؤ ؟!

تبقى مجموعة من الملاحظات الأساسية على البحث الذي عرضنا له فيما سلف؛ أولاها ذات طابع فكري وتتعلق بالخلفية الأيديولوجية للباحثة، والتي منعتها من الوصول إلى المسببات الصحيحة لبعض الظواهر التي اعترضتها خلال البحث. فعلى سبيل المثال، حينما تصدت لتفسير التجاهل الغريب الذي تعامل به المسؤولون المصريون مع النشاط الخطر والصريح للحركة الصهيونية في مصر، بل ومشاركتهم المباشرة في الكثير من مظاهره، أرجعت ذلك إلى سبب أغرب، إذ تذكر في آخر صفحات كتابها، مانصه: «وربما تدل طبيعة النشاط الصهيوني في البلاد، على مدى جهل المسؤولين المصريين بأبعاد الحركة الصهيونية وأهدافها» ص١٥٨، وهي تذكر هذا بالرغم من أنها، في الفقرة نفسها، تقرر «أن الدعاية الصهيونية هنا في مصر، كانت تحظى **بصفة رسمية**، وربما قد لا نجافي الحقيقة إذا قلنا أنها كانت تحظى **باعتراف** السلطات المصرية، حيث ان صدور صحف يهودية في مصر كان يتطلب **موافقة** السلطات، وفقاً لما ينص عليه قانون المطبوعات». كما أنها تذكر أيضاً، أن المجلة الصهيونية أكدت، في صدر صفحتها الأولى، «**أنها لسان حال المنظمة الصهيونية في مصر، كما أن السلطات منحت موافقتها لصاحب مجلة، المنبر اليهودي، رغم علمها بانه من المؤمنين بالفكرة الصهيونية، وبانه يعمل على ترويجها، ولم يكن مستبعداً أن يستخدمها كمنبر لترويج أفكاره**» ص١٥٨، وقد كان بالطبع.

وواقع الحال ان ما تسميه سهام نصار جهلاً، هو في حقيقة الأمر **تواطؤ مكشوف** بين الطبقة البرجوازية المصرية، بشكل عام، وشريحة كبار الرأسماليين منها، بشكل خاص من جهة، وبين البرجوازية اليهودية النافذة الكلمة في البلاد، والمهيمنة على شؤون الاقتصاد فيها من جهة أخرى. وتعاطف البرجوازية المصرية مع الفكرة الصهيونية التي هي التعبير الأمثل عن طموح البرجوازية اليهودية الكبيرة، منذ نهايات القرن الماضي، يمثل جذر الخيانة الساداتية الأصيل فيما بعد. ومما يجدر ذكره أن هذا التعاطف كان ينمو باضطراد مع نمو الحركة الجماهيرية التي هددت استقرار النظام البرجوازي المصري المتحالف مع المستعمر طوال أحقاب عديدة، وتلمس الباحثة بعضاً من ملامح هذا التعاطف، في موقف **اسماعيل صدقي**، عدو الحركة الشعبية الألد، الذي كانت تربطه بكبار الرأسماليين اليهود «علاقات صداقة، وعلاقات عمل»، «لذا وجدناه يتخذ مواقف معادية للفلسطينيين الذين كانوا يقيمون بمصر، ويتبنى موقفاً لا يتسم بأدنى قدر من التعاطف معهم، فقد اعتقل سنة ١٩٢٥، وهو وزير للداخلية، الوطنيين الفلسطينيين، الذين هتفوا ضد **بلفور** أثناء مروره على مصر لحضور الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية وعندما تولى رئاسة الوزارة سنة ١٩٣٠، أغلق جريدة **الشورى** الفلسطينية، لصاحبها **محمد علي الطاهر**، الذي كان من مؤيدي حزب الوفد، في حين أبقى على جريدة 'اسرائيل' الصهيونية» ص٣٥.

فمن الواضح إذن، ان هذا الموقف، وأمثاله كان يتم عن وعي كامل بحقيقة ما يجري لا عن «جهل» كما تفسره **سهام نصار**. ومن السذاجة تصور ان البرجوازية المصرية التي يجسدها **اسماعيل صدقي** كانت تجهل مرامي الحركة الصهيونية، وهي تغض البصر عن نشاطاتها العلنية والسرية في مصر.

أما الملحوظة الثانية، فتتعلق بغياب المراجع التفصيلية للبحث الذي هو، في الأصل، بحث جامعي أكاديمي؛ ففيما عدا قائمة المراجع العامة المذكورة في نهاية الكتاب، **يفتقد القارىء**، الا فيما ندر، اسم كل المراجع التي اقتبست الباحثة منها فقرات، أو استشهدت بآراء مؤلفيها وتاريخ صدورها ومكانه. وقد يكون الناشر رأى، في حذفها، نوعاً من التخفيف على القارىء، غير أنه، على كل الأحوال، نقص كان من الواجب تلافيه.

أما الملاحظة الأخيرة، فتتعلق بالجزء الذي تناولت فيه الباحثة، بالرصد والتحليل، مجموعة الجرائد والمجلات اليهودية الصادرة بالعربية في مصر.